

الفاصلة القرآنية في سورة الرحمن دراسة دلالية وبلاغية

إعداد

د/ محمد مصطفى عبد الفضيل سالم

دكتوراه في الدراسات الإسلامية - جامعة المنيا

الملخص:

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة في الاستناد إلى أقوال كبار المفسرين وعلماء البلاغة واعتمدت الدراسة على مصادر موثوقة في التفسير بالمأثور كتفسير (الطبري، ابن كثير، القرطبي)، والتفسير العقلي والبلاغي كتفسير (الزمخشري، الرازي، الألوسي) والتفسير الحديثة كتفسير (ابن عاشور، السعدي)، ولعل هذا يجعلها مرجعاً أكاديمياً يمكن الاعتماد عليه في البحوث والدراسات القرآنية، وتبرز أهمية الدراسة من خلال توضيح الغاية من السورة الكريمة وبيان أثرها التربوي وأن الهدف الرئيسي لسورة الرحمن هو تذكير الإنسان بنعم الله لدفعه إلى الشكر، وتحذيره من التكذيب بتلك النعم، وترغيبه بالجنة وترهيبه من النار، وهذا يجعلها دليلاً عملياً للدعاة والوعاظ في بناء خطاب مؤثر لبناء جيل يحافظ على قيم المجتمع وحضارته، تقديم مادة علمية سهلة ومنظمة وبالرغم من عمق المحتوى، فإن الدراسة قدّمت المعلومات بطريقة سهلة ومنظمة وواضحة بلغة مبسطة مع الاحتفاظ بالأصالة العلمية الشاملة التي لا تغفل أي جانب مهم في السورة الكريمة مما يجعلها مفيدة للمتخصصين ولعامة القراء.

الكلمات المفتاحية: الفاصلة القرآنية، سورة الرحمن، دراسة دلالية وبلاغية.

Abstract

The importance of this study lies in its reliance on the sayings of the great interpreters and rhetoricians. The study relied on reliable sources in interpretation by tradition, such as the interpretation of (Al-Tabari, Ibn Kathir, Al-Qurtubi), rational and rhetorical interpretation, such as the interpretation of (Al-Zamakhshari, Al-Razi, Al-Alusi), and modern interpretations, such as the interpretation of (Ibn Ashur, Al-Saadi). Perhaps this makes it an academic reference that can be relied upon in Quranic research and studies.

The importance of the study is highlighted by clarifying the purpose of the noble Surah and explaining its educational impact. The main objective of Surah Ar-Rahman is to remind people of God's blessings to motivate them to be grateful, to warn them against denying those blessings, to encourage them to go to Paradise and to frighten them from Hell.

This makes it a practical guide for preachers and exhorters in constructing an influential discourse to build a generation that preserves the values and civilization of society, presenting easy and organized scientific material, despite the depth of the content.

The study presented the information in an easy, organized, and clear manner, in simple language, while maintaining the comprehensive scientific authenticity that does not neglect any important aspect of the Holy Surah, which makes it useful for specialists and general readers.

Keywords: Quranic comma, Surah Ar-Rahman, semantic and rhetorical study.

أهداف الدراسة: تتجلى أهمية هذه الدراسة في عدة جوانب أساسية تجعلها مرجعاً قيماً لفهم الفاصلة القرآنية في سورة الرحمن ، سواء من الناحية التفسيرية أو البلاغية، ومن أبرز هذه الجوانب، الجمع بين التفسير والبلاغة في دراسة واحدة مع التركيز على أبعادها الدلالية والبلاغية، وكيفية إسهامها في تعزيز المعنى وتوحيد النسيج النصي للسورة الكريمة، تقدم الدراسة رؤية شاملة لسورة الرحمن، حيث تربط بين المعاني التفسيرية (كالنعم الإلهية والجزاء الأخروي) والأدوات البلاغية (مثل التكرار والاستفهام الإنكاري)، مما يساعد القارئ على فهم السورة بشكل متكامل، وتُهدف الدراسة لبيان أن سورة الرحمن تتفوق بلاغياً على أي نص بشري، من خلال التكرار المؤثر الذي يحمل معاني جديدة في كل مرة وهذا الوصف الحيوي الفريد للجنة والنار الذي يجمع بين الإيجاز والتفصيل والاستفهام الإنكاري الذي يوازن بين التذكير والتحدي، ولعل هذا يُظهر جانباً من إعجاز القرآن الكريم الذي أعجز الفصحاء.

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال بيان خصائص الفاصلة القرآنية في السورة الكريمة، وربطها بالسياق العام، لتحليل الدلائل البلاغية والبيانية لفهم المعاني العميقة وراء التكرار في الآيات التي تحتوي على الفاصلة {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، ولاستكشاف الخصائص الأسلوبية في السورة الكريمة. مع الاستعانة بأدوات علم الدلالة والبلاغة القرآنية؛ وكذلك التحليل الدلالي من حيث تحديد المعنى الظاهري للتذكير بالنعم وإنكار التكذيب بها وبيان المعنى الضمني الشامل لتحدي للإنس والجن وكذلك بيان السياق العام للسورة وربط كل تكرار بالنعمة التي سبقته مثل: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ثم ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

نتائج الدراسة: بينت الدراسة أن القرآن الكريم معجز ولإعجازه جوانب عديدة منها الإعجاز البياني الذي ينتظم في القرآن كله حيث يوجد في كل سورة وكل آية، ونلمس ذلك في علم الفاصلة القرآنية ،ولقد اهتم العلماء قديماً وحديثاً بالفاصلة القرآنية، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نقاط منها، الجماليات الدلالية والإيقاعية التي تزخر بها فواصل القرآن خاصة في سورة الرحمن، بينت الدراسة مدي التناسق في فواصل سورة الرحمن مع هذا الهدوء المذهل وتناغمها مع الجو العام لها، و يتناسب مع جو الصمت الذي يعتري تلك النفوس المشغولة بهمّها عن

كُلٌّ مَنْ تعرف من النفوس، تتاسق فواصل سورة الرَّحْمَن يتناسب مع جوها وإيقاعها العام، الفاصلة ترتبط بمضمون آياتها ارتباطاً وثيقاً، جاءت الفاصلة القرآنية في سورة الرحمن متشابهة ذات واقع نغمي هي النون والميم.

حدود دراسة الفاصلة القرآنية في سورة الرحمن (دراسة دلالية وبلاغية): من حيث

الموضوع فإن الدراسة تقتصر على سورة الرحمن فقط دون سواها، وارتكزت على آية (قِيَّائٍ آلَاءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) كفاصلة رئيسية ولا تشمل على كل أنواع الفواصل القرآنية في القرآن الكريم، ومن حيث الحدود التطبيقية فإن الدراسة لا تُعمَّم على كل الفواصل القرآنية في القرآن أو أساليب التكرار في النص القرآني.

مقدمة: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: تعتبر الفاصلة القرآنية من المظاهر الصوتية التي تشكّل لوحة جمالية تعطي النص القرآني ميزة الإعجاز في الأداء؛ فهي لا تقف عند المستوى الصوتي والدلالي بل تتصل بمستويات أخرى كالمستوى النحوي والبلاغي. وقد ساهمت في اختيار الكلمات القرآنية التي تثري السياق، وتقوي بنية القراءة القرآنية لإبراز جمال النص القرآني من منابعه اللغوية التي تكسبنا القدرة على التدنق، وتوصلنا إلى صورة مثالية مقنعة لإدراك عظمة كتاب الله؛ فإن القرآن الكريم هو معجزة الله - الخالدة إلى يوم القيامة - إذا قرئ لأجمع كل قارئ على أنه كتاب محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، أخذ بعضه برقاب بعض، يجري الإعجاز في آياته، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(١) فالقرآن معجز وإعجازه وجوه متعددة من أعظمها وأتمها الإعجاز البياني الذي ينتظم في القرآن كله حيث يوجد في كل سورة وآية ونلمس ذلك إذا تدبرنا علم الفاصلة القرآنية، ولقد نالت الفاصلة حظاً وافراً من دراسات الدارسين قديماً، وحديثاً، وتأتي أهمية هذه الدراسة (الفاصلة في السياق القرآني) لإظهار الإعجاز اللغوي والبلاغي للقرآن الكريم. قال الإمام عبد

(١) سورة هود (١).

القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني^١ مجيباً عن تساؤل العارف الجاهل حول إعجاز القرآن: "أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادي آية ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام، وتذكير وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان؛ وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أخرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول، وأعجز الجمهور. ونظاماً والتثاماً، وإتقاناً وإحكاماً، لم يدع في نفس بليغ منهم - ولو حك بياFOXه السماء - موضع طمع، حتى خرس الألسن عن أن تدعي وتقول، وخذلت القروم، فلم تملك أن تقول" و "خذلت" بمعنى: أخذت. والقروم: الفحول. وهي هنا مجاز^٢.

أولاً: تعريف الفاصلة لغة واصطلاحاً

تعريف الفاصلة في اللغة: الفاصلة من الفعل (فصل)، وجمعها (فواصل)، مؤنث (الفاصل) "والفصل الحاجز بين الشيئين"^(٣).

(١) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني أبو بكر النحوي فارسي الأصل، جرجاني الدار، عالم بالنحو والبلاغة. أخذ النحو بجرجان عن الشيخ أبي الحسين محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الوارث الفارسي، نزيل جرجان، ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، وأكثر عنه، وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء، وتصدر بجرجان، وحثت إليه الرجال، وصنف التصانيف الجليلة، وكان - رحمه الله - ضيق العطن، لا يستوفي الكلام على ما يذكره مع قدرته على ذلك. فمن تصانيفه: كتاب المقتصد في شرح الإيضاح «٤» وهو مقتصد من مثله على ما سماه، لم يأت في الإيضاح بشيء له مقدار. ولما تبرع في التكملة لم يقصر بنسبته إلى ما عهد منه، فلو شاء لأطال. انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم ط ١/ دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢م، ١٨٨/٢.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) ياسين الأيوبي ط ١/ المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ٣٨/١.

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، ط ٣/ دار صادر - بيروت - ١٤١٤ هـ، ٥٢١/١١، المنجد في اللغة، علي بن الحسن

ثانياً تعريف الفاصلة اصطلاحاً: حروف متشاكلّة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني^(١).

٢- هي كلمة آخر الجملة^(٢).

٣- اللفظ الذي ختمت به الآية، فكما سموا ما ختم به الشعر قافية، أطلقوا على ما ختمت به الآية الكريمة فاصلة^(٣).

٤- هي آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع^(٤).

٥- وقيل الفاصلة المنفصلة عما بعدها، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، وقد تقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، وسميت بذلك لأن الكلام ينفصل عندها^(٥).

٦- وقد عرّف ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" الفاصلة القرآنية بأنها: "الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب، مع تماثل أو تقارب صيغ النطق بها، وتكرر في السورة تكرراً يؤذن بأن تماثلها أو تقاربها مقصود من النظم في آيات كثيرة متماثلة"^(٦).

الهنائي الأزدي، أبو الحسن، ت: دكتور أحمد مختار عمر وآخرون، ط ٢ / عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٨ م، (ص/٥٨٥)، وانظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ت / (إبراهيم مصطفى وآخرون)، ط / دار الدعوة، ٦٩١/٢.

(١) النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ) ت / محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، ط ٣ / دار المعارف بمصر، ١٩٧٦ م، ص ٩٧.

(٢) التيسير في مذاهب القراء، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، ط ١ / دار الإمام أحمد - الكويت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ٣٢.

(٣) إعجاز القرآن الكريم، للدكتور فضل عباس، وسناء، ط / الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوزيع ٢٠٠٩ - ص ٢٢٥.

(٤) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط / دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، ٥٣/١.

(٥) مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، ط ٣ / مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ١٥٣.

والتعريف المختار الذي تميل إليه النفس هو ما ذهب إليه صاحب مناهل العرفان أنها: طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن الكريم، وذلك أنه ليس بالضرورة أن تكون لكل آية فاصلة، فهناك فاصلة لأكثر من آية^(١).

وبعد كل هذا التطواف في بيان معني الفاصلة القرآنية يجدر بنا أن نقول إن المتأمل في كتاب الله - تعالى - يجد أنه جاء على صورة لم يألّفها العرب من قبل ، بل نزل بأسلوب بديع فصلت آياته ؛ ولذا اعتبر ابن عاشور أن الفواصل القرآنية تعتبر من جملة الإعجاز الإعجاز والإثارة في القرآن الكريم فقال : " وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْفَوَاصِلَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُفْصُودِ مِنَ الْإِعْجَازِ لِأَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى مُحَسَّنَاتِ الْكَلَامِ وَهِيَ مِنْ جَانِبٍ فَصَاحَةِ الْكَلَامِ، فَمِنْ الْعَرَضِ الْبَلَاغِيِّ الْوُقُوفُ عِنْدَ الْفَوَاصِلِ لِنَقْعٍ فِي الْأَسْمَاعِ فَنَتَأَثَّرُ نُفُوسُ السَّامِعِينَ بِمَحَاسِنِ ذَلِكَ التَّمَاثُلِ، كَمَا تَتَأَثَّرُ بِالْقَوَافِي فِي الشَّعْرِ وَبِالْأَسْجَاعِ فِي الْكَلَامِ الْمَسْجُوعِ. فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ بِالْقَوَافِي وَالسَّلَاسِلِ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾^٢ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ فَقَوْلُهُ: فِي الْحَمِيمِ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: يُسْحَبُونَ وَقَوْلُهُ: مِنْ دُونِ اللَّهِ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ تُشْرِكُونَ، وَيَنْبَغِي الْوُقُوفُ عِنْدَ نِهَائِيَةِ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا^(٤).

ويعتبر الطاهر ابن عاشور واحدا من الذين توسعوا في توجيه كثير من الآيات وبينوا صراحة ذكر الفواصل فيها، فمن الآيات التي وجهها قوله ﷻ ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾^٥ ، قال: "وحذف ياء المتكلم من (نذر) وأصله: نذري، وحذفها في الكلام في الوقف فصيح، وكثر

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ط/ الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ هـ، ١/ ٧٥.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، ط٣/ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١/ ٣٣٩.

(٣) سورة غافر ٧١: ٧٤.

(٤) التحرير والتنوير ١/ ٧٦.

(٥) سورة القمر: ١٦.

في القرآن عند الفواصل". وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونَهُمَا جَنْتَانِ﴾^(١) ، قال: وإيثار صيغة التنبيه هنا؛ لمراعاة الفواصل السابقة واللاحقة^(٢).

فوائد معرفة الفاصلة القرآنية:

١- تحسين الكلام: الفواصل القرآنية من معجزات هذا الكتاب، ومن آياته الباهرة، ومن ثم فإن لمعرفة الفواصل القرآنية فوائد لا تُحصى، قال الزركشي " وَتَقَعُ الْفَاصِلَةُ عِنْدَ الْإِسْتِرَاحَةِ فِي الْخُطَابِ لِتَحْسِينِ الْكَلَامِ بِهَا وَهِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي يُبَيِّنُ الْقُرْآنُ بِهَا سَائِرَ الْكَلَامِ وَتُسَمَّى فَوَاصِلَ لِأَنَّهُ يَنْفَصِلُ عِنْدَهَا الْكَلَامَانِ وَذَلِكَ أَنَّ آخِرَ الْآيَةِ قَدْ فَصَّلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا بَعْدَهَا وَلَمْ يُسَمِّهَا أُسْجَاعًا " ^(٣).

٢- من تلك الفوائد ما يلي: أن معرفة فواصل اتسهل حفظ لقرآن تمكن وتساعد المكلف على الحصول على الأجر الموعود به على قراءة عدد معين من الآيات في الصلاة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «أُحِبُّ أَحَدَكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلَفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلَفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ»^٤ ، و(الْخَلَفَاتُ): الحوامل من الإبل، والواحدة: خَلْفَةٌ، ومن ذلك أيضا ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رضي الله عنه - أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطِرِينَ»^٥ ؛ فإذا لم يكن المكلف عالماً بفواصل الآيات، لا يتيسر له إحراز هذا الأجر، والظفر بهذا الثواب.

(١) سورة الرحمن: ٦٢.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٨٧.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/ ٥٤.

(٤) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، ت / محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١/ ٥٥٢، ح ٨٠٢.

(٥) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/ المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ٢/ ٥٧ ح ١٣٩٨.

قال ابن عاشور: وَقَدْ ذَكَرَ قُفْهًاؤُنَا فِي آدَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَنَّ النَّفْهَ مَعَ قِلَّةِ الْقِرَاءَةِ أَفْضَلُ مِنْ كَثَرَةِ الْقِرَاءَةِ بِلَا تَفْهَمُ^١

- ٣- إدراك الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم حيث لا يخفي ما للفاصلة من دور فعال في بيان روعة وجمال الأداء الصوتي الذي تميز به القرآن الكريم.
- ٤- الكشف عن الدقة اللغوية التي تميز بها نظم القرآن الكريم.

أقسام الفواصل في القرآن: الفاصلة بحسب الروي ثلاثة أنواع: **متماثلة:** وهي التي تماثلت حروف رويها سواء في الحرف الأخير كقوله - تعالى: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي زَقٍّ مَنشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤)﴾^(٢)، ﴿الرَّحْمَنِ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣)﴾^(٣)، ومن الفواصل المتماثلة أيضاً: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ (٤)﴾^(٤).

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣)﴾^(٥).

الفواصل المتماثلة تشيع في الآيات، والسور المكية كسورة النازعات، وعبس والانفطار والأعلى، **الفاصلة المنفردة:** هي التي لا تتماثل حروف رويها، ولا تتقارب، وإنما تكون منفردة، وهي قليلة أو نادرة، وهذا دليل قاطع على أنه لا يراد بالفاصلة القرآنية مراعاة الحروف، وإنما يراد المعنى المقصود بالدرجة الأولى كما في سوره طه حيث جاءت الآية: ﴿فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾^(٦) مغايرة للفاصلة القرآنية في سائر آيات السورة، وكذلك في سورة الأنبياء جاءت الآية منفردة عن بقية آيات السورة: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾^٧ ومن هذا القبيل فاصلة الآية التي ختمت بها سورة

(١) التحرير والتنوير، ٢٩/١.

(٢) سورة الطور ٤.

(٣) سورة الرحمن ١: ٣.

(٤) سورة الفجر ١: ٤.

(٥) سورة العاديات ١: ٣.

(٦) سورة طه ٧٨.

(٧) سورة الانبياء ٦٦.

الضحى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^١. الفاصلة المتقاربة: وتسمى ذات المناسبة غير التامة، وهي تقاربت حروف رويها وهي تغلب في الآيات المكية، كتقارب الميم مع النون كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^٢.

كما في سورة: الفاتحة، البقرة، آل عمران، المائدة، يونس، والمؤمنون، والدخان، وق، والقلم، والماعون، والمطففون، والتين.

- من أمثلة تقارب الدال مع الباء قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾^٣.

ثانيا: باعتبار الوزن:

١- الفاصلة المتوازنة: وهي التي يراعى فيها مقاطع الكلام والوزن فقط كقوله - تعالى

-: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةً (١٥) وَزُرَابِي مَبْنُوتَةً﴾^٤ وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾^٥ وفي سورة الشورى في سبع آيات ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ

(١) سورة الضحى ٤.

(٢) سورة الفاتحة ٢:٣.

(٣) سورة ق ٢:١.

(٤) سورة الغاشية ١٥:١٦.

(٥) سورة المعارج ٥:٩.

الْيَمِّ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ^١

فجميع فواصلها بين (شديد، قريب، بعيد، عزيز، نصيب، أليم، كبير) على هذا الترتيب وهو في القرآن وبخاصة في قصار المفصل^٢.

٢- الفاصلة المتوازية: وهي اتفاق فاصلتين في الوزن والحرف كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾^٣ اتفقت الفاصلتان (مرفوعة) و (موضوعة) في وزنهما وحرف رويهما.

٣- المتطرفة: وهي أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتفقا في حرف الروي كقوله - تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)﴾^٤

اختلفت الفاصلتان (وقارا) و (أطوارا) في الوزن، بينما اتفقتا في حرف الروي.

٤- المرصعة: وهي أن تتفق الفاصلتان في الوزن والتقفية، وتكون الفاصلة المتقدمة مقابلة للفاصلة المتأخرة كقوله - تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾^٥، فالفاصلة الأولى والثانية (نعيم)، (مقيم) تتفقا وزنا وتقفية مع التقابل بينهما.

٥- المتماثلة: وهو أن تتساوى الفقرتان في الوزن دون التقفية وتكون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^٦ فالكتاب والصراط متوازنان وكذا المستبين والمستقيم، واختلفا في الحرف الأخير.

رابعا: بحسب طول الفقرة

١- قصيرة موجزة: مثل (آلم، الرحمن، الحاقة).

(١) سورة الشورى ٢٢:١٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٧٧/١.

(٣) سورة الغاشية ١٣:١٤.

(٤) سورة نوح ١٣:١٤.

(٥) سورة الانفطار ١٣:١٤.

(٦) سورة الصافات ١١٧:١١٨.

٢- متوسطة معجزة: ما بين الطويلة والقصيرة مثل ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾^١

٣- طويلة مفصحة: طولها غير مضبوط، وأقصرها يكون من إحدى عشرة لفظة وكلما زادت طولاً زاد بيانها وإفصاحها ومن ذلك ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَتَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^٢

خامساً: بحسب القرينة

١- أن تكون القرائن متساوية في عدد الكلمات مثل قوله - تعالى - ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ^٣

وقوله - تعالى - ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ^٤

٢- قرائن مختلفة الطول والقصر: مثل قوله - تعالى - ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ^٥

طريقة معرفة الفواصل في القرآن الكريم : لمعرفة الفاصلة في القرآن الكريم طريقان

الطريق الأول: توقيفي سماعي ثابت من قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وسماع الصحابة لها، كفواصل سورة الفاتحة ؛ فقد روى أبو داود وغيره عن أم سلمة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - : "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقطع قراءته آية آية، يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف ثم يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم يقف، ثم يقول: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، ثم يقف، ثم يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ثم يقف، ثم

(١) سورة النجم ١: ٢.

(٢) سورة الانفال ٤٣.

(٣) سورة الواقعة ٢٧: ٣٠.

(٤) سورة الضحى ٩: ١٠.

(٥) سورة الحاقة ٣٠: ٣٢.

يقول: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، ثم يقف، ثم يقول: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} ^١.

وإنما وقف - عليه وسلم - على هذه الكلمات: الرحيم، العالمين، الرحيم، الدين، نستعين، المستقيم، الضالين؛ ليعلم الصحابة أن كل كلمة من هذه الكلمات فاصلة، ورأس آية، يصح الوقوف عليها اختياريًا، وهكذا كل ما ثبت أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يقف عليه في قراءته دائما نتحقق أنه فاصلة، ورأس آية، ويصح أن نقف عليه حال الاختيار.

وأما ما ثبت أنه - عليه وسلم - وصله ولم يقف عليه أبدًا فهو غير فاصلة، وغير رأس آية قطعًا، فلا ينبغي الوقوف عليه في حال الاختيار.

وفي القرآن العظيم كلمات وقف عليها - عليه وسلم - حينًا، ووصلها حينًا، وهذه محل نظر العلماء، ومحط اختلافهم؛ لأن وقفه عليه السلام عليها في المرة الأولى يحتمل أن يكون لبيان أن هذه الكلمات فواصل، ورؤوس آيات، ويحتمل أن يكون لبيان صحة الوقف عليها، وإن لم تكن فواصل، ووصله عليه السلام لها في المرة الثانية يحتمل أن يكون لبيان أنها ليست رؤوس آيات، ويحتمل أنه وصلها - وهي فواصل في الواقع - لأنه وقف عليها في المرة الأولى لتعليم الصحابة أنها فواصل، فلما اطمأنت نفسه إلى معرفتهم إياها في المرة الأولى وصلها في المرة الثانية، ومن هنا نشأ اختلاف علماء الأمصار: المدينة، مكة، الكوفة، البصرة، الشام، في مقدار عدد آي القرآن، وعدد آياتها.

الطريق الثاني لمعرفة الفواصل: قياسي؛ وهو ما ألحق فيه غير المنصوص عليه بالمنصوص عليه لعلاقة تقتضي ذلك، وليس في هذا محذور، لأنه لا يترتب عليه زيادة في القرآن، ولا نقص منه، بل قصارى ما فيه تعيين محال الفصل والوصل.

ولقد ذكر العلماء بعض الطرق لمعرفة الفواصل بالقياس وهي:

(١) الفاتحة ١: ٧.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السنجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/ المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ٣٧/٤ ح

١ - مساواة الآية بما قبلها وما بعدها طولاً وقصراً: ونعني بذلك التوازن اللفظي من حيث الطول والقصر وهي أن تكون نهاية الآية متساوية في عدد الكلمات أو المقاطع مع ما قبلها، عندما تتبع العلماء الآيات واستقرعوا الفواصل في السور طویلها وقصیرها وجدوا أن الآيات الطوال لم تأت إلا في السور الطوال على مقدار متساو، وكذلك لم تأت القصار إلا في أقصر السور، واستنبطوا أصلاً لمعرفة الفاصلة، وهو مساواتها لما قبلها وما بعده في الطول والقصر فلذا لم يعدوا قوله - تعالى - : ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^١

هما من وقوله - تعالى - : ﴿فَذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفَحَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^٢ ؛ وذلك لعدم مساواتها في الطول للسورة التي هي فيها، وعدوا قوله - تعالى - : ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾^٣ ، فيبقى أن هذا الحكم الثابت بالإستقراء لا يشمل الكل، فالغالب أن آيات السور الطوال طويلة، آيات السور القصار قصيرة، وقد يكون الأمر على خلاف ذلك تبعاً للتوقيف

٢ - مشكلة الفاصلة لغيرها مما هو معها في السور في الحرف الأخير منها أو فيما قبله، وذلك أن كل آية جاءت في القرآن فإنما تعتبر فاصلتها بآخر حرف فيها بحيث تكون مشكلة ما قبلها وما بعدها في الحرف الأخير نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^٤

فإذا كان قبل الحرف الأخير حرف مد نحو (يؤمنون) فإن العبرة تكون بالمشكلة فيه مع اعتبار المساواة في الوزن؛ وأما ما يقاس بما قبل الحرف الأخير فنحو: عظيم، وكريم، وقريش، لأن حرف المد الزائد قبل الحرف المتحرك هو الفاصلة في اصطلاح هذا العلم، فإن

(١) سورة الانعام ٣٦.

(٢) سورة الأعراف: ٢٢.

(٣) سورة المدثر: ٢١.

(٤) سورة الإخلاص ١: ٢.

لم يكن مشاكلاً لما قبله ولما بعده من بعد رؤوس الآي ولا مساوياً له في الوزن والبنية: لم يكن رأس آية في سورة رؤوس آياتها مبنية على ما ذكر ؛ إلا ما ورد به النص، ولذلك انعقد إجماع بين العادين على ترك قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنَكَفُوا وَسَتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١﴾ لعدم مشاكلته لطرفيه، لأن ما قبله (وكيلاً) وما بعده (جميعاً) وهما مبيانان على الألف وهومبني على الواو.

٣ - انقطاع الكلام: وهو أن كل كلمة مشتملة على حرف المد وقعت بعد كلمة أخرى مشتملة على حرف مدوصلح كل منهما لأن يكون فاصلة، فالفاصلة هي الكلمة الثانية كما في {عليم حكيم}، {عليم حليم} وهكذا، والأولى عدم فتح باب القياس على مصراعيه، فإن طريق معرفة رؤوس الآيات إنما هو نقل والصحابة رضوان الله عليهم لما سمعوه من الرسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنه قد ينتقض القول بالقياس في أحيان كثيرة.

قال الزمخشري: في تفسيره فإن قلت ما بالهم عدوا بعض الفواتح آية دون بعض؛ قلت: هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه، كمعرفة السور أما الم فأية حيث وقعت من السور المفتحة بها، وهي ست، وكذلك المص آية، والمر لم تعد آية، والر ليست بأية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها، وطه ويس آيتان، وطس ليست بأية، وحم آية في سورها كلها، و{حم * عسق} آيتان، كهيعص آية واحدة ص وق ون ثلاثتها لم تعد آية، هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئاً منها فإن قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت. كما عد {الرَّحْمَنُ} وحده و{مُدْهَامَّتَانِ} وحدها آيتين على طريق التوقيف ^٢.

(١) سورة النساء ١٧٢: ١٧٣.

(٢) (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى:

٥٣٨هـ)، ط٣/ دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧ هـ، ٣١/١.

وقال ابن العربي: ذكر النبي - ﷺ - أن الفاتحة سبع آيات، وسورة الملك ثلاثون آية^١

وقد صح أن رسول الله - ﷺ - قال: «الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»^٢؛ مما يدل توقيف الكلام على الشارع الحكيم.

وقال السيوطي: قال بعضهم: الصحيح أن الآية إنما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السورة^(٣).

فالمراجع أن معرفة الآيات هو أمر توقيفي من النبي ﷺ.

اسم السورة وفضلها

سميت الرحمن بهذا الاسم لفتتاحها به، ولتسمية النبي - ﷺ - والصحابة لها بذلك، فتسميتها بالرحمن توقيفي، عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله {قُبْأِيْ آلاء رِكْمًا تَكْذِبَانِ} قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد^(٤)، وهذه التسمية التي تعارف عليها الصحابة - رضوان الله عليهم - كما سمعوها من النبي - ﷺ - عن نهيك بن سنان السلمي، أنه أتى عبد الله بن مسعود، فقال: قرأت المفصل الليلة في ركعة، فقال: هذا مثل هذ الشعر، أو نثرنا مثل نثر الدقل؟ إنما

(١) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، ط٣/ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ١٠/١.

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ط١/ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢ هـ، ٨٤/٥ ح ٤٠٠٨.

(٣) الإتيقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م، ٢٣٠/١.

(٤) رواه الترمذي في جامعه: كتاب التفسير، باب "سورة الرحمن ٢٥٢/٥ ح ٣٢٩١ وقال هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد قال ابن حنبل: كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يروى عنه بالعراق، كأنه رجل آخر قلبوا اسمه، يعني: لما يروون عنه من المناكير، وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري، يقول: أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير، وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة.

فصل لتفصلوا، لقد علمت " النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن، عشرين سورة: الرحمن والنجم "، على تأليف ابن مسعود، كل سورتين في ركعة، وذكر الدخان، وعم يتساءلون في ركعة^(١)؛ كما سميت بعروس القرآن فعن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لكل شيء عروس، وعروس القرآن الرحمن^(٢)

وَوَجْهٌ تَسْمِيَةٌ هَذِهِ السُّورَةُ بِسُورَةِ الرَّحْمَنِ أَنَّهَا ابْتَدِئَتْ بِاسْمِهِ تَعَالَى: الرَّحْمَنُ ١، وَكَذَلِكَ سُمِّيَتْ فِي كُتُبِ السُّنَنِ وَفِي الْمَصَاحِفِ^(٣) قال الزركشي: " ينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو يكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سورة القرآن كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم، لقريظة قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها، وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها شيء كثير من أحكام النساء^(٤).

نزولها ترتيبها: إِنَّ سَبَبَ نَزُولِهَا قَوْلُ الْمُشْرِكِينَ المحكي فِي قَوْلِ تَعَالَى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ° ، فَتَكُونُ تَسْمِيَّتُهَا بِاعْتِبَارِ إِضَافَةِ «سُورَةٍ» إِلَى «الرَّحْمَنِ» عَلَى مَعْنَى إِبْثَابِ وَصْفِ الرَّحْمَنِ.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن (٦٩/٧) ح (٣٩٥٨).

(٢) شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ت/مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ٤/١١٦ ح ٢٢٦٥.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ) ط / الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ هـ (٢٧/٢٢٧).

(٤) البرهان في علوم القرآن (١/٢٠٧).

(٥) فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ [٦٠]

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ جُمْهُورِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَرَوَى جَمَاعَةٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ نَزَلَتْ فِي صَلَاحِ الْقَضِيَّةِ عِنْدَ مَا أَبَى سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أَنْ يَكْتُبَ فِي رَسْمِ الصَّلَاحِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» وَنُسِبَ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ أَيْضًا أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ سِوَى آيَةِ مِنْهَا هِيَ قَوْلُهُ: يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ^(١). وَالْأَصَحُّ أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا، وَهِيَ فِي مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَوَّلُ الْمُفْصَلِ. وَإِذَا صَحَّ أَنَّ سَبَبَ نَزُولِهَا قَوْلُ الْمُشْرِكِينَ وَمَا الرَّحْمَنُ تَكُونُ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْفُرْقَانِ، وَقِيلَ سَبَبُ نَزُولِهَا قَوْلُ الْمُشْرِكِينَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ^(٢). فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَأَنَّ الرَّحْمَنَ هُوَ الَّذِي عَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ الْقُرْآنَ، وَهِيَ مِنْ أَوَّلِ السُّورِ نَزُولًا، وَهَذَا يَفْتَضِي أَنَّهَا نَزَلَتْ قَبْلَ سُورَةِ الْحَجْرِ. وَلِلْاِخْتِلَافِ فِيهَا لَمْ تَحَقِّقْ رُبَّنَّهَا فِي عِدَادِ نَزُولِ سُورِ الْقُرْآنِ. وَعَدَّهَا الْجَعْفَرِيُّ ثَامِنَةً وَتَسْعِينَ بِنَاءً عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ وَجَعَلَهَا بَعْدَ سُورَةِ الرَّعْدِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْإِنْسَانِ^(٣).

سورة الرحمن مكية كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس: إلا آية منها هي قوله تعالى: (يسئله من في السماوات والأرض) الآية. وهي ست وسبعون آية. وقال ابن مسعود ومقاتل: هي مدنية كلها. والقول الأول أصح لما روى عروة بن الزبير قال: أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود، وذلك أن الصحابة قالوا: ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال ابن مسعود: أنا، فقالوا: إنا نخشى عليك، وإنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه، فأبى ثم قام عند المقام فقال: (بسم الله الرحمن الرحيم. الرحمن. علم القرآن) ثم تمادى رافعا بها صوته وقريش في أُنْدِيَّتِهَا، فَتَأْمَلُوا وَقَالُوا: مَا يَقُولُ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ؟ قَالُوا: هُوَ يَقُولُ الَّذِي يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ

(١) [الرَّحْمَنُ: ٢٩]

(٢) [الْمُحْكِي فِي سُورَةِ النَّحْلِ ١٠٣]

(٣) [التحرير والتنوير، ٢٢٧/٢٧٧].

ضربوه حتى أثروا في وجهه. وصح أن النبي ﷺ قام يصلي الصبح بنخلة، فقرأ سورة (الرحمن) ومرو النفر من الجن فآمنوا به^١.

مناسبتها لما قبلها وما بعدها: ووجه مناسبتها لما قبلها على ما قال الجلال السيوطي: أنه لما قال سبحانه في آخر ما قيل بل الساعة مؤعدهم والساعة أذهى وأمر ثم وصف عز وجل حال المجرمين في سقر؛ وحال المتقين في جنات ونهر فصل هذا الإجمال في هذه السورة أتم تفصيل على الترتيب الوارد في الإجمال فبدأ بوصف مرارة الساعة، والإشارة إلى شدتها، ثم وصف النار وأهلها، ولذا قال سبحانه: يُعْزَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ولم يقل الكافرون، أو نحوه لاتصاله معنى بقوله تعالى هناك: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ، ثم وصف الجنة وأهلها، ولذا قال تعالى فيهم: وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ وَذَلِكَ هُوَ عَيْنُ التَّقْوَى ولم يقل ولمن آمن، أو أطاع، أو نحوه لتوافق الألفاظ في التفصيل والمفصل؛ ويعرف بما ذكر أن هذه السورة كالشرح لآخر السورة قبلها؛ وقال أبو حيان في ذلك: أنه تعالى لما ذكر هناك مقر المجرمين في سقر، ومقر المتقين في جنات ونهر عند مليك مقتدر ذكر سبحانه هنا شيئاً من آيات الملك وآثار القدرة، ثم ذكر جل وعلا مقر الفريقين على جهة الإسهاب، إذ كان ذكره هناك على جهة الاختصار، ولما أبرز قوله سبحانه: عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ بصورة التذكير فكأن سائلاً يسأل ويقول من المتصف بهاتين الصفتين الجليلتين؟ فقيل: الرَّحْمَنُ الخ،^٢.

وقال ابن الزبير في البرهان: وإذا تأملت سورة القمر وجدت خطابها وإعذارها خاصاً ببني آدم، بل بمشركي العرب منهم فقط فأتبعت بسورة الرحمن تنبيهاً للثقلين وإعذاراً إليهم وتقريراً للجنس على ما أودع الله تعالى في العالم من العجائب والبراهين الساطعة فتكرر فيها التقرير

(١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢/ دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ١٧/١٥١.

(٢) الأساس في التفسير، سعيد حوى (المتوفى ١٤٠٩هـ)، ط ٦/ دار السلام - القاهرة، ١٤٢٤هـ، ١٠/٥٦٣٩.

والتنبيه بقوله تعالى: "فَبَآئِيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" خطاباً للجنسين وإعذاراً للثقلين فبان اتصالها بسورة القمر أشد البيان^١.

وفي سورة الرحمن تعدد النعم واطهار الرحمة ومطالبة الإنسان بالشكر ومنعه من الكفر وهذه السورة مشتملة على إظهار الهيبة وذكر الجزاء بالخير لمن شكر وبالشر لمن كفر وفي خاتمة سورة الرحمن ذكر لليوم الآخر: ﴿مُتَكِنِينَ عَلَى رُفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)﴾ وقبلها يتكلم عن أصحاب النار ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١)﴾ ومن خاف مقام ربه ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (٤٦)﴾ ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢)﴾ وفي الواقعة: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢)﴾ نفس المشهد ثم ذكر جزاء أصحاب اليمين والسابقين وأصحاب الشمال وقد ذكرهم أيضاً في سورة الرحمن، كما ذكر: ﴿مُتَكِنِينَ عَلَى رُفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)﴾ الجنة وفي الواقعة قال ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢)﴾ تكلم في اليوم الآخر ثم ذكر جزاء السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال وذكرهم بصورة أخرى في خواتيم سورة الرحمن، كما أن الصلة بين وسط سورة الرحمن إلى وسط سورة الواقعة تكاد تكون ذا مضمون واحد، وقد تشعر أن سورة الواقعة تكاد تكون استمرارية لسورة الرحمن ومكملة لها^٢.

وذكر البقاعي وجها من أوجه مناسبة سورة الرحمن لما بعدها فقال: شرح أحوال الأقسام الثلاثة المذكورة في الرحمن للأولياء من السابقين واللاحقين والأعداء المشاqqين من المصارحين والمنافقين من الثقلين للدلالة على تمام القدرة بالفعل بالاختيار الذي دل عليه آخر الرحمن بإثبات الكمال ودل عليه آخر هذه بالتنزيه بالنفي لكل شيء به نقص ثم الإثبات بوصف

(١) البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، ت/

محمد شعباني، ط/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ٣٢٨/١.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى:

٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (٤٠٢/٧)، أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين

السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ط / دار الفضيحة للنشر والتوزيع، (١٣٤/١ - ١٣٥)، مفاتيح الغيب = التفسير

الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى:

٦٠٦هـ)، ط٣/ دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٢٠ هـ، (١٤٠/٢٩).

العظمة بجميع الكمال من الجمال والجلال، ولو استوى الناس لم يكن ذلك من بليغ الحكمة، فإن استواءهم يكون شبهة لأهل الطبيعة، واسمها الواقعة دال على ذلك بتأمل آياته وما يتعلق الظرف به) بسم الله (الذي له الكمال كله ففاوت بين الناس في الأحوال) الرحمن (الذي عم بنعمة البيان وفاضل قبولها بين أهل الإدبار وأهل الإقبال) الرحيم (الذي أقبل بأهل حزنه إلى أهل قربه ففازوا لما صنف سبحانه الناس في تلك إلى ثلاث أصناف: مجرمين وسابقين ولاحقين، وختم بعة ذلك وهو أنه ذو الانتقام والإكرام، شرح أحوالهم في هذه السورة وبين الوقت الذي يظهر فيه بمحاسن الأقوال والأفعال. لما صنف سبحانه - الناس في تلك إلى ثلاث أصناف: مجرمين وسابقين ولاحقين، وختم بعة ذلك وهو أنه ذو الانتقام والإكرام، شرح أحوالهم في هذه السورة وبين الوقت الذي يظهر فيه إكرامه وانتقامه بما ذكر في الرحمن غاية الظهور فقال بانياً على ما أرشده السياق إلى أن تقديره: يكون ذلك كله كوناً يشترك في علمه الخاص والعام: {إذا وقعت الواقعة *} أي التي لا بد من وقوعها ^١.

مناسبة السورة لسورة الواقعة: هذه السورة متآخية مع سورة الرحمن في أن كلا منهما في وصف القيامة، والجنة والنار، وانظر إلى اتصال قوله هنا: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} بقوله هناك: {إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ} ^٢؛ ولهذا اقتصر في الرحمن على ذكر انشقاق السماء، وفي الواقعة على ذكر رج الأرض ^١، فكان السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة؛ ولهذا عكس في الترتيب، فذكر في أول هذه السورة ما ذكره في آخر تلك، وفي آخر هذه ما في أول تلك، كما أشرت إليه في سورة آل عمران مع سورة البقرة. فافتتح في سورة الرحمن بذكر القرآن، ثم ذكر الشمس والقمر، ثم ذكر النبات، ثم خلق الإنسان، والجنان من نار، ثم صفة [يوم] القيامة، ثم صفة النار، ثم صفة الجنة، وابتدأ هذه بذكر القيامة ثم صفة الجنة، ثم صفة النار، ثم خلق الإنسان، ثم النبات، ثم الماء، ثم النار، ثم [ذكر] ٥ النجوم، ولم يذكرها في الرحمن، كما لم يذكر هنا الشمس والقمر، ثم ذكر القرآن. فكانت هذه السورة كالمقابلة لتلك، وكردّ العجز على الصّدّ ^٣.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٩/١٩٥.

(٢) الرحمن: ٣٧

(٣) أسرار ترتيب القرآن، جلال الدين السيوطي، ١/١٣٧.

أهم مقاصد السورة:

لقد اشتملت السورة الكريمة على الموضوعات والمحاور التالية:

١- التذكير بالنعم: وعدّ الله عزّ وعلا آلاءه، فأراد أن يقدّم أوّل شيء ما هو أسبق من ضروب آلائه وأصناف نعمائه، وهي نعمة الدين، فقدّم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقبها: وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه، لأنه أعظم وحياءه رتبة، وأعلاه منزلة، وأحسنه في أبواب الدين أثراً، وهو سنام الكتب السماوية ومصادقها والعيار عليها^١، ويقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: نرى السورة الكريمة تطوف بنا في آفاق هذا الكون، فتحكى لنا من بين ما تحكى - جانباً من مظاهر قدرة الله - تعالى - ونعمه على خلقه - ونقول في أعقاب كل نعمة قِيَّايَّ آلاءٍ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ، وتكرر هذه الآية فيها إحدى وثلاثين مرة، لتذكير الجن والإنس بهذه النعم كي يشكروا الله - تعالى - عليها شكراً جزيلاً.^٢

ولعل هذا من الإعجاز البياني والتصويري في سورة الرحمن حيث التصوير بالتكرار؛ فكلما ذكرت نعمة (مثل الجنة، النهار، البحر، الثمرات)، تأتي الفاصلة كسؤال استنكاري: فأين نعمة هذه ستكذبونها؟

٢- بيان عظيم رحمة الله ﷻ قال الامام البقاعي: ولما ختم سبحانه القمر بعظيم الملك وبلغ القدرة، وكان الملك القادر لا يكمل ملكه إلا بالرحمة، وكانت رحمته لا تتم إلا بعمومها، قصر هذه السورة على تعداد نعمه على خلقه في الدارين، وذلك من آثار الملك، وفصل فيها ما أجمل في آخر القمر من مقر الأولياء والأعداء في الآخرة، وصدرها بالاسم الدال على عموم الرحمة براعة للاستهلال.^٣

وهذا من الدلائل البلاغية للفاصلة القرآنية في سورة الرحمن ذلك الإعجاز النفسي والتأثيري حيث التأثير العاطفي في بيان رحمة الله تعالى فالتكرار يجعل السامع يتفكر في كل نعمة على حدة، ثم يُوجه له سؤال استنكاري يجعله يشعر بضخامة النعم ووجوب الشكر

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ٤/٣٤٤.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٤/١٢٦.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٩/١٣٩، وما بعدها.

وأسلوب التذكير والتحذير في الفاصلة القرآنية في سورة الرحمن تذكر المؤمن بالنعم وتحذر الكافر من التكذيب.

٣- الْمُوعِظَةُ بِالْفَنَاءِ وَتَخَلَّصَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى التَّنْكِيرِ يَوْمَ الْحَشْرِ وَالْجَزَاءِ. وَخُتِمَتْ بِتَعْظِيمِ اللَّهِ وَالنَّشَاءِ عَلَيْهِ.

وَتَخَلَّلَ ذَلِكَ إِدْمَاجَ التَّنْوِيهِ بِشَأْنِ الْعَدْلِ، وَالْأَمْرَ بِتَوْفِيَةِ أَصْحَابِ الْحُقُوقِ حُقُوقَهُمْ، وَحَاجَةَ النَّاسِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ فِيمَا خَلَقَ لَهُمْ، وَمِنْ أَهَمِّهَا نِعْمَةُ الْعِلْمِ وَنِعْمَةُ الْبَيَانِ، وَمَا أَعَدَّ مِنَ الْجَزَاءِ لِلْمُجْرِمِينَ وَمِنَ الثَّوَابِ وَالْكَرَامَةِ لِلْمُتَّقِينَ وَوَصَفُ نَعِيمِ الْمُتَّقِينَ^١.

٤- ختمت السورة بالثناء على الله جلَّ، ووصفت ما أعده الله - تعالى - للمتقين وصفا يهذأشرح الصدور، ويقر العيون، فقد أعد - سبحانه - لهم بفضله وكرمه الحور العين، والفرش التي بطائنها من إستبرق، قال - تعالى - : حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قُبُلُهُمْ وَلَا جَانٌّ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ^٢.

مناسبة فواصل الآيات لموضوعات السورة: للفواصل دلالتها على المقاطع، وتعمل على تحسين الكلام، وترتبط بما قبلها من الكلام ارتباطاً وثيقاً ولو حذفت لاختل المعنى.

ومن خلال تحليل الفاصلة القرآنية في سورة الرحمن كدراسة (دلالية وبلاغية) يتبين مدى الإعجاز البلاغي واللغوي حيث التناسب بين الفواصل والسياق فكل فاصلة تأتي بعد ذكر نعمة من نعم الله، سواء في الدنيا أو الآخرة، لتذكير الإنس والجن بعظيم آلاء الله، وفي سورة الرحمن، تُعتبر الفاصلة القرآنية من العناصر البلاغية البارزة، حيث تتكررت الآية الكريمة: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} بشكلٍ مُنتظم بعد كل مجموعة من الآيات التي تذكر نعم الله تعالى، وهذا الأسلوب له دلالات بلاغية عميقة سنتعرف عليها.

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٢٧/٢٢٩.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط ١/ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - ١٤/١٢٦.

يذكر الإمام الجرجاني فوائد الدلائل اللغوية المرادة من الألفاظ خاصة في مقام السجع فيقول: "وإذا كانت الألفاظ لا تُرَادُ لأنفسها وإنما تُرَادُ لَتُجَعَلَ أدلة على المعاني؛ فإذا عَدِمَتِ الذي له تُرَادُ أو اِخْتَلَّ أمرها فيه، لم يُعْتَدَ بالأوصاف التي تكون في أنفسها عليها، وكانت السهولة وغير السهولة فيها واحداً، ومن هاهنا رأيت العلماء يذمون مضمناً يحمله تطلب السجع والتجنيس على أن يضمّ لهما المعنى ويدخل الخلّ عليه من أجلهما، وعلى أن يتعسف في الاستعارة بسببهما، ويركب العورة، ويسلك المسالك المجهولة^(١).

ويتضح من دراسة الدلائل البلاغية في الفاصلة القرآنية في سورة الرحمن السجع المتناسق دون تكلف فالفاصلة واحدة في كل الآيات، لكنها لا تسبب مللاً؛ لأنها تتناغم مع السياق المتغير للنعم المذكورة؛ وكأن هذه النعم غير متكلفه من الله؛ بل هي محض فضل وتكرم منه سبحانه وتعالى فهو الرحمن ولذلك افتتحت السورة بهذا الاسم العظيم.

الجملة الخبرية في سورة الرحمن: لو تأملنا دلالة الخبر في سورة الرحمن لوجدناه يمتاز بالابداع اللغوي والبلاغي؛ فمن دلائله أنه يأتي بإيحاءات تنبه السامع للتأمل في المعاني الدقيقة في دلائل رحمة الله تعالى، ولعل هذا ما نلاحظه في سورة الرحمن حيث صدرت السورة الكريمة بهذا الخبر العظيم الرَّحْمَنُ جَلَّ قال بن قال بن عاشور: وَمِنْ بَدِيعِ أَسْلُوبِهَا افْتِتَاحُهَا الْبَاهِرُ بِاسْمِهِ الرَّحْمَنُ وَهِيَ السُّورَةُ الْوَحِيدَةُ الْمُفْتَتَحَةُ بِاسْمِ مَنْ أَسْمَاءُ اللَّهِ لَمْ يَتَقَدَّمْهُ غَيْرُهُ، وَمِنْهُ التَّعْدَادُ فِي مَقَامِ الْإِمْتِنَانِ وَالتَّعْظِيمِ بِقَوْلِهِ: فَبَإَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ إِذْ تَكَرَّرَ فِيهَا إِحْدَى وَثَلَاثِينَ مَرَّةً وَذَلِكَ أَسْلُوبٌ عَرَبِيٌّ جَلِيلٌ كَمَا سَنَبِينَهُ^(٢).

ويبين الدكتور طنطاوي الدلالة البلاغية لاسم الرحمن وما فيه من دقة ووضوح دون اطناب فيقول: وهو لفظ مشتق من الرحمة، وصيغته الدالة على المبالغة، تنبه إلى عظم هذه الرحمة وسعتها^(٣).

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) ياسين الأيوبي، ط ١/ المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ٢٠/١٤٤٠.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (٢٧/٢٨١).

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ١٤/٢٨٨.

وهذا البيان من الدكتور سيد طنطاوي يبين التناسق بين المعنى والإيقاع في استخدام صيغة المبالغة في اسم الرحمن.

ولعل هذا يبين بلاغة الخبر في مفتتح السورة الكريمة فنتبه السامع للتأمل في معانيه حيث صدرت السورة بهذا الخبر والذي لم تصدر سورة قبله ولا بعده على هذا النحو العظيم مما يلفت الانتباه للتركيز على الموضوعية في تصوير الخبر واستعراضه [الرحمن: ١].

أما عن رأي قال الإمام الجرجاني في تقسيم الخبر فإنه يقول: أول ما ينبغي أن يُعلم منه أنه يُقسم إلى خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه، وخبر ليس بجزء من الجملة، ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له. فالأول خبر المبتدأ: (كَمُنْطَلَقًا) في قولك: (زَيْدٌ مُنْطَلَقًا)، والفعل كقولك: (خَرَجَ زَيْدٌ). فكل واحد من هذين جزء من الجملة، وهو الأصل في الفائدة. والثاني هو الحال. كقولك: (جاءني زيدٌ راكبًا)^١.

نظم الجملة من حيث التقديم والتأخير: وهنا نقف عند نظم الجملة وأنماطها من حيث التقديم والتأخير حيث إبراز المعنى وتقويته من خلال أسلوب التقديم والتأخير ففي بداية سورة الرحمن، نلاحظ استخدامًا بلاغيًا دقيقًا لظاهرة التقديم والتأخير في الفواصل القرآنية، والتي تساهم في إبراز المعنى وتقويته وفي هذا توجيه الانتباه إلى محور الرحمة الإلهية في سورة الرحمن فبعد ذكر الخلق، جاء ذكر البيان ليربط بين نعمة الوجود ونعمة الإدراك والتعبير، مما يبرز تكامل النعم لو قُدِّم "البيان" على "الخلق" لاختل المعنى، لأن البيان فرع عن وجود الإنسان.

يذكر الإمام الجرجاني فوائد التقديم والتأخير فيقول: هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعة، ويُفْضِي بك إلى لطيفة؛ ولا تزال ترى شعراً يروِّفك مَسْمَعُهُ، ويلطّف لديك مَوْقِعُهُ، ثم تنتظر فتجد سبباً أنّ راقك ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ وحول اللفظ عن مكان إلى مكان^٢.

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني، ١/١٨١.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني، ١/١٣٤.

التقديم والتأخير في هذه السورة الكريمة ليس عشوائياً؛ بل يُحقق أهدافاً بلاغية وعقدية متنوعة، منها إظهار تسلسل النعم من الأهم فالأهم ولعل هذا ما ذكره الامام النسفي للدلالة البلاغية في التقديم والتأخير في خلق الانسان فيقول: وآخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره ثم اتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه الدين وليحيط علماً بوحيه وكتبه وقدم ما خلق الإنسان من أجله عليه ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح العرب عما في الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرهما أخبار مترادفة وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذك كثرك بعد قلة فع بك مالم يفعل أحد بأحد فما تتكر من إحسانه ^١.

التشويق: رغم أن الخلق سابق على التعلم في الزمن، فقد قدّم الله ﷻ التعليم على الخلق، لأن الغاية من خلق الإنسان هي العبادة والمعرفة، والقرآن هو أعظم وسيلة لتحقيق هذه الغاية يُظهر هذا الأسلوب أهمية العلم والوحي كمحور أساسي في حياة الإنسان ومن خلال هذه الميزة الفريدة لدلالة التقديم والتأخير من خلال إبراز معاني التشويق والاثارة يقول يقول صاحب البحر المحيط: ولما ذكر تعليم القرآن ولم يذكر المعلم، ذكره بعد في قوله: خلق الإنسان، ليعلم أنه المقصود بالتعليم. ولما كان خلقه من أجل الدين وتعليمه القرآن، كان كالسبب في خلقه تقدم على خلقه. ثم ذكر تعالى الوصف الذي يتميز به الإنسان من المنطق المفصح عن الضمير، والذي به يمكن قبول التعليم، وهو البيان ^٢.

التوبيخ: نجده في قوله تعالى فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ^٣ وقال الدكتور طنطاوي مبيناً الدلالية البلاغية للفاصلة القرآنية في سورة الرحمن من حيث التوكيد التذكير بالنعم والحض على شكرها وعدم جحودها فيقول: ختم - سبحانه - هذه النعم بقوله: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، والفاء للتفريع على النعم المتعددة التي سبق ذكرها، والاستفهام للتعجيب ممن يكذب بهذه النعم،

(١) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) ت/ يوسف علي بديوي الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١/ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٤٠٩/٣.

^٢ البحر المحيط في التفسير، ١٠/ ٥٤.

^٣ الرحمن ايه رقم ١٣

والآلاء: جمع إلى- بكسر الهمزة وفتحها وسكون اللام- وهي النعمة، والخطاب للمكلفين من الجن والإنس، وقيل لأفراد الإنس مؤمنهم وكافرهم، أى: فبأى واحدة من هذه النعم تكذبان ريكما، أى: تجدان فضله ومننه- يا معشر الجن والإنس- مع أن كل نعمة من هذه النعم تستحق منكم الطاعة لي، والخضوع لعزتي والإخلاص في عبادتي.

قال الجمل ما ملخصه: كررت هذه الآية هنا إحدى وثلاثين مرة تقريراً للنعمة، وتأكيذاً للتذكير بها، وذلك كقول الرجل لمن أحسن إليه، وهو ينكر هذا الإحسان: ألم تكن فقيراً فأغنيتك، أفتنكر هذا؟ ألم تكن عرياناً فكسوتك، أفتنكر هذا...؟^(١).

التوازن والتميز في مقاطع الفاصلة القرآنية في سورة الرحمن: فَبِأَيِّ ٣ أحرف، آلاءِ ٣ أحرف، رَبِّكُمَا: ٥ أحرف. تُكَذِّبَانِ: ٦ أحرف، هذا التنوع مع التكرار يعطي إيقاعاً متوازناً، وكذلك الإعجاز والتميز في الاختيار اللغوي حيث كلمة "آلاءِ" وهي كلمة نادرة الاستخدام في اللغة، وتعني النعم العظيمة، مما يعطي الفاصلة تميزاً ظاهراً. قال الطاهر ابن عاشور في التحرير مبيناً التناسب الموضوعي في كل مرة تُذكر فيها نعمة (مثل خلق الإنسان، تسخير الكون، الجنة والنار)، يأتي هذا السؤال لربط النعمة بواجب الشكر ليبين مدى الترابط الوارد في الآيات الكريمة وما فيه من تناسب وترابط بين الآيات: لَمَّا كَانَ قَوْلُهُ: وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ [الرَّحْمَنُ: ٢٤] مُؤِذِنًا بِنِعْمَةِ إِبْجَادِ أَسْبَابِ النَّجَاةِ مِنَ الْهَلَاكِ وَأَسْبَابِ السَّعْيِ لِتَحْصِيلِ مَا بِهِ إِقَامَةُ الْعَيْشِ إِذْ يَسَّرَ لِلنَّاسِ السَّفْنَ عَوْنًا لِلنَّاسِ عَلَى الْأَسْفَارِ وَقَضَاءِ الْأَوْطَارِ مَعَ السَّلَامَةِ مِنْ طُغْيَانِ مَاءِ الْبَحَارِ، وَكَانَ وَصْفُ السَّفْنِ بِأَنَّهَا كَالْأَعْلَامِ تَوْسِيعَةً فِي هَذِهِ النِّعْمَةِ أَتْبَعَهُ بِالْمَوْعِظَةِ بِأَنَّ هَذَا لَا يَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ مَا قَدَرَهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْفَنَاءِ، عَلَى عَادَةِ الْقُرْآنِ فِي الْفُرْصِ لِلْمَوْعِظَةِ وَالتَّذْكِيرِ كَقَوْلِهِ: أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ [النِّسَاءُ: ٧٨] . وَفَائِدَةُ هَذَا أَنَّ لَا يَنْسَوُ الْأَسْتَعْدَادَ لِلْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ بِفِعْلِ الصَّالِحَاتِ، وَأَنْ يَتَفَكَّرُوا فِي عَظِيمِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَقْبَلُوا عَلَى تَوْحِيدِهِ وَطَلَبِ مَرْضَاتِهِ، وَوُقُوعِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَقَبَ مَا عَدَدَ مِنَ النِّعَمِ فِيهِ إِيْمَاءً إِلَى أَنَّ مَصِيرَ نَعَمِ الدُّنْيَا إِلَى الْفَنَاءِ^٢.

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ١٤/١٣٣.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٢٧/٢٥٢.

الجملة الإنشائية: تتميز سورة الرحمن باستخدام مجموعة متنوعة من الجمل الإنشائية التي تحمل دلالات بلاغية عميقة مترابطة مع الفاصلة القرآنية في السورة الكريمة، حيث تعمل هذه الأساليب الإنشائية على تحقيق أغراض بلاغية ونفسية متعددة، ولها دلالتها التي تظهر بوضوح في سورة الرحمن.

الجملة الاستفهامية (الإنكارية والتقريرية): أسلوب الإستفهام الإنكاري يحمل دلالة التوبيخ والتحدي، حيث يتحدى الله الإنس والجن أن يذكروا نعمة واحدة يمكنهم إنكارها وهذا يعمل على إثارة الوعي واجبار السامع على التفكير في النعم المذكورة وبشكل تكرر هذا الاستفهام إيقاعاً نفسياً يؤثر في السامع تدريجياً، ويبين الدكتور محمد سيد طنطاوي مدي الإيقاع والتأثير النفسي على السامع وما يحدثه تكرر الفاصلة القرآنية من التأثير العاطفي أثناء الانتقال في بيان أصناف الإخيار والأشرار؛ مما يجعل السورة قريبة إلى القلب فيقول: وكعادة القرآن الكريم في قرن أحوال الأخيار، بأحوال الأشرار، أو العكس جاء الحديث عما أعده- سبحانه- للمتقين من جزيل الثواب، بعد الحديث عما سينزل بالمجرمين من عقاب فقال- تعالى- وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ^(١)

الجملة الأمرية (الترغيبية والتحذيرية): الجمل الإنشائية في سورة الرحمن ليست مجرد أدوات لغوية، بل هي أسلحة بلاغية محكمة تُحقق الإقناع من خلال التحدي والبرهان وتحدث في النفسي تأثيراً كبيراً عبر الصدمة والتنبيه وتبرز الإعجاز القرآني في اختيار الصيغ الأنسب لكل غرض منها - يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ^٢ والدلالة صيغة أمر لكنها تحمل التحدي والعجز، حيث تظهر ضعف المخلوقات أمام قدرة الخالق. تعمل على إثبات الحجة بشكل عملي من خلال تحدٍ لا يستطيعون تحقيقه. والمعنى: سنقصد إلى محاسبتكم ومجازاتكم على أعمالكم يوم القيامة، وسنقول لكم على سبيل التعجيز والتحدي. يا معشر الجن والإنس، إن استطعتم أن تنفذوا وتخرجوا من جوانب السماوات والأرض ومن نواحيهما المتعددة.. فانفذوا واخرجوا، وخلصوا أنفسكم من المحاسبة

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ١٤/١٤٦.

(٢) سورة الرحمن (٣٣)

والمجازاة، وجملة: لا تَتَفَذُّونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ بياناً للتعجيز المتمثل في قوله- تعالى- فَأَنفُذُوا، والسلطان المراد به هنا: القدرة والقوة أى: لا تتفدون من هذا الموقف العصيب الذي أنتم فيه إلا بقدرة عظيمة، وقوة خارقة، تريد على قوة خالفكم الذي جعلكم في هذا الموقف، وأنى لكم هذه القوة التي أنتم أبعد ما تكونون عنها؟ فالمقصود بالآية الكريمة، تحذير الفاسقين والكافرين، من التماذي في فسقهم وكفرهم، وبيان أنهم سيكونون في قبضة الله- تعالى- وتحت سلطانه، وأنهم لن يستطيعوا الهروب من قبضته وقضائه فيهم بحكمه العادل^١.

إيجاز القصر: يُعتبر إيجاز القصر في سورة الرحمن أحد أبرز الظواهر البلاغية التي تحمل دلالات عميقة، حيث يُستخدم الاقتصاد اللفظي مع دقة المعنى لتوجيه الرسالة بأقصر الصيغ وأكثرها تأثيراً.

في وصف الكون وبيان مصيره: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)^٢ والضمير في عَلَيْهَا يعود إلى الأرض بقرينة المقام، والمراد بمن عليها: كل من يعيش فوقها، ويدخل فيهم دخولا أوليا بنو آدم، لأنهم هم المقصودون بالخطاب، ولذا جيء بمن الموصولة الخاصة بالعقلاء أى: كل من على الأرض من إنسان وحيوان وغيرهما سائر إلى الزوال والفناء وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ وذاته بقاء لا تغير معه ولا زوال، فهو- سبحانه- ذُو الْجَلَالِ أى: ذو العظمة والاستغناء المطلق وَالْإِكْرَامِ أى: والفضل التام، والإحسان الكامل^٣.

فانظر إلى الإيجاز: ٣ كلمات فقط، وتأمل الدلالات حيث تقرير حقيقة الموت المطلقة بصورة صادمة، والتضاد مع {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} (الآية ٢٧) لإبراز ثبات الله وزوال الخلق.

في وصف الجنة: {فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}^٤ يقول الإمام البقاعي مبيناً مدي ارتباط السياق العام للآيات الكريمة بالمقصد العام للسورة التي تُذَكِّرُ بفضل الله على عباده: ولما كانت الجنان لا تقوم إلا بالأنهار قال: {فيهما عينان} أي في كل واحدة عين {تجريان} أي في كل

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ١٤ / ١٤٢.

(٢) سورة الرحمن (٢٦)

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ١٤ / ١٤٠.

(٤) سورة الرحمن (الآية ٥٠)

مكان شاء صاحبهما وإن علا مكانه كما تصعد المياه في الأشجار في كل غصن منها، وإن زاد علوها جرى على عيني دموعه الجاريتين من خشية الله وذلك على مثال جنان الدنيا، والشمس صاعدة في البروج الشمالية من تكامل المياه وتفجرها عيوناً في أيام الربيع والصيف لقرب العهد بالأمطار {فبأي آلاء ربكما}¹.

فتأمل الإيجاز: وصف الجنة بكلمتين فقط، والدلالات في تصوير النعيم بصورة ملموسة دون إطالة، والتكرار في {عَيْنَانِ} (في آيات أخرى) يحدث تناغماً موسيقياً

سورة الرحمن من السور التي تتميز بكثرة المحسنات البديعية، والإيقاع الموسيقي، والتكرار المؤثر، مع تركيزها على نعم الله ﷻ وعظيم قدرته، مما يجعلها تحفة بلاغية تفسيرية، ويبين الزمخشري قيمة التكرار في القرآن ويمثل بسورة الرحمن فيقول: فإن قلت: ما فائدة تكرير قوله قُدُّوْهُا عَذَابِي وَنُذِرْ وَلَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ؟ قلت: فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبا من أنباء الأولين اذكارا وتعاضا، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، ويقعق لهم الشن تارات، لئلا يغلبهم السهو ولا تستولى عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير، كقوله فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن، وقوله فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ عند كل آية أوردتها في سورة والمرسلات، وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة القلوب، مصورة للأذهان، مذكورة غير منسية في كل أوان².

ويبين الطاهر بن عاشور في التحرير مدى التحدي والاستتكار بصيغة الاستفهام {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} والتي تحمل تحدياً بلاغياً، كأنها تُوجه سؤالاً استتكارياً للإنس والجن عن أي النعم يكذبون بها فيقول: تَكْرِيرٌ فِي آخِرِ الْأَوْصَافِ لِرِيزَادَةِ النَّقْرِيرِ والتوبيخ³.

ويقول الدكتور طنطاوي في ختام السورة: ثم ختم - سبحانه - السورة الكريمة بقوله: تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ؛ أي: جل شأن الله - تعالى -، وارتفع اسمه الجليل عما لا يليق

(¹) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٨١/١٩.

(²) الكشف، الزمخشري، ط ٣ دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧ هـ، ٤/٣٩٤.

(³) التحرير والتنوير، ٢٧/٢٧٤.

بشأنه العظيم، فهو - عز وجل - صاحب الجلال. أي: العظمة والاستغناء المطلق، والإكرام. أي: الفضل التام، والإحسان الذي لا يقاربه إحسان^(١).

ويبين القرطبي مقاصد سورة الرحمن في ختام السورة الكريمة فيقول: (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) (تبارك) تفاعل من البركة وقد تقدم (ذي الجلال) أي العظمة. وقد تقدم (والإكرام) وقرأ عامر (ذو الجلال) بالواو وجعله وصفا للاسم، وذلك تقوية لكون الاسم هو المسمى. الباقون (ذي الجلال) جعلوا (ذي) صفة ل (ربك). وكأنه يريد الاسم الذي افتتح به السورة، فقال: (الرحمن) فافتتح بهذا الاسم، فوصف خلق الإنس والجن، وخلق السماوات والأرض وصنعه، وأنه (كل يوم هو في شأن) ووصف تدبيره فيهم، ثم وصف يوم القيامة وأهوالها، وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان. ثم قال في آخر السورة: (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) (أي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة، كأنه يعلمهم أن هذا كله خرج لكم من رحمتي، فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السماء والأرض والخلق والخلقة والجنة والنار، فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه ثم قال: (ذي الجلال والإكرام) جليل في ذاته، كريم في أفعاله^(٢)).

ويذكر ابن حيان أن كل هذه الآيات تُذكر الإنسان بأنه لا يستحق التكذيب بهذه النعم فيقول: ولما عدد تعالى نعمه، خاطب الثقلين بقوله: فبأي آلاء ربكما تكذبان، أي أن نعمه كثيرة لا تحصى، فبأيها تكذبان؟ أي من هذه نعمه لا يمكن أن يكذب بها، وكان هذا الخطاب للثقلين، لأنهما داخلان في الأنعام على أصح الأقوال^(٣).

ويشير الرازي إلى أن السورة تظهر سعة رحمة الله حيث تذكر النعم بأسلوب تصاعدي، من النعم الدنيوية (كخلق الإنسان، تسخير الشمس والقمر) إلى النعم الأخروية (كالجنة) فيقول: لما ذكر الجزاء ذكر بعده مثله وهو جنتان أخريان، وهذا كقوله تعالى: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة [يونس: ٢٦] وفي قوله تعالى: دونهما وجهان: أحدهما: دونهما في الشرف، وهو ما اختاره صاحب «الكشاف» وقال قوله: مدهامتان مع قوله في الأوليين: ذواتا أفنان [الرحمن:

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ١٥٢/١٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ١٩٣/١٧.

(٣) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، ٥٨/١٠.

٤٨] وقوله في هذه: نان نساختان مع قوله في الأوليتين: عينان تجريان [الرحمن: ٥٠] لأن النسخ دون الجري، وقوله في الأولين: من كل فاكهة زوجان [الرحمن: ٥٢] مع قوله في هاتين: فاكهة ونخل ورمان [الرحمن: ٦٨] وقوله في الأوليين: فرش بطائنها من إستبرق حيث ترك ذكر الظهائر لعلوها ورفعتهما وعدم إدراك العقول إياها مع قوله في هاتين: رفر ف خضر [الرحمن: ٧٦] دليل عليه^١.

ويختم الطاهر بن عاشور كلامه ببيان بلاغة القرآن في اختيار الألفاظ فيقول: تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨) إِذَانٌ بِإِنْتِهَاءِ الْكَلَامِ وَقَدْ لَكَّ لِمَا بُنِيَتْ عَلَيْهِ السُّورَةُ مِنَ التَّنْذِيرِ بِعَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَنِعْمَائِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالْكَلَامُ: إِنِّشَاءُ ثَنَاءٍ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مَبَالِغٍ فِيهِ بِصِيغَةِ التَّفْعِيلِ الَّتِي إِذَا كَانَ فِعْلُهَا غَيْرَ صَادِرٍ مِنْ أَشْيَيْنِ فَالْمَقْصُودُ مِنْهَا الْمُبَالِغَةُ، وَالْمَعْنَى: وَصَفُهُ تَعَالَى بِكَمَالِ الْبَرَكَةِ، وَالْبَرَكَةُ: الْخَيْرُ الْعَظِيمُ وَالنَّفْعُ، وَقَدْ نُطِّقُ الْبَرَكَةَ عَلَى عُلُوِّ الشَّأْنِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْفُرْقَانِ. وَالْإِسْمُ مَا دَلَّ عَلَى ذَاتٍ سِوَاءَ كَانَ عَلَمًا مِثْلَ لَفْظِ «اللَّهُ» أَوْ كَانَ صِفَةً مِثْلَ الصِّفَاتِ الْعُلَى وَهِيَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، فَأَيُّ اسْمٍ قَدَّرْتَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ فَهُوَ دَالٌّ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى^٢.

الخاتمة: تعتبر سورة الرحمن أنموذج فريد في الجمع بين التفسير العميق والبلاغة البديعة والفاصلة المتوافقة، حيث الجملة الخبرية الأكثر شيوعاً في السورة الكريمة هذا وقد اتفق المفسرون على: أنها سورة النعم والتذكير بها، وأخذت السورة أسلوباً تحديداً بلاغياً لا يُجَارَى وقد كشفت الدراسة عن البنية البلاغية الفريدة للسورة الكريمة التي تجمع بين الإيقاع الموسيقي والتكرار المعنوي ومن خلال المنهج التحليلي تبين أيضاً تميز سورة الرحمن بأسلوب التقديم والتأخير، وكذلك التكرار في السورة ليس مجرد أسلوب إنشائي أو حشو؛ بل منهج تربوي متدرج أثبت الإعجاز البلاغي والبياني للسورة الكريمة تبين من خلال الدراسة كيف يوازن النص القرآني بين العرض العقلي والعاطفي وأظهر التحليل الترابط العضوي بين مقاطع السورة رغم تنوع موضوعاتها من خلال الفاصلة فبأي آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، بينت الدراسة الجماليات الدلالية والإيقاعية التي تزخر بها فواصل القرآن، فالفاصلة القرآنية في السورة محل الدراسة مرتبطه بمضمون آياتها ارتباطاً وثيقاً.

^١ التفسير الكبير الرازي (٣٧٩/٢٩)

^٢ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، ٢٧ / ٢٧٦.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
٢. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، ط٣/ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٣. الأساس في التفسير، سعيد حوى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، ط ٦/ دار السلام - القاهرة، ١٤٢٤ هـ.
٤. أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ط / دار الفضيحة للنشر والتوزيع.
٥. إعجاز القرآن الكريم، للدكتور فضل عباس، وسناء، ط/ الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوزيع ٢٠٠٩.
٦. البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، ت/ محمد شعباني، ط/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٧. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م.
٨. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ط/ الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ هـ.

٩. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) ت/ يوسف علي بديويالناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط١/ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط١/ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة.
١١. التيسير في مذاهب القراء، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، ط١/ دار الإمام أحمد - الكويت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٢. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) ياسين الأيوبي، ط١/ المكتبة العصرية - الدار النموذجية.
١٣. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/ المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
١٤. شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ت/ مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهندمكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٥. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ط١/ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).
١٦. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ط٣/ دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧ هـ.
١٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، ط ٣/ دار صادر - بيروت - ١٤١٤ هـ.

١٨. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، ط٣/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، ت/ شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط١/ مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م.
٢٠. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ت / (إبراهيم مصطفى وآخرون)، ط / دار الدعوة.
٢١. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط٣/ دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٢٠ هـ.
٢٢. المُجَدِّد في اللغة، علي بن الحسن الهُنَائِي الأَزْدِي، أبو الحسن، ت: دكتور أحمد مختار عمر وآخرون، ط ٢/ عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٨ م.
٢٣. النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ) ت / محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، ط٣/ دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م.